



من أخطر الأزمات التي تعاني منها الثورة السورية هي الأزمة الفكرية المتمثلة بجرثومة الغلو التي أدرك الطغاة مفعولها العجيب في إجهاض الثورات فبدأوا بتغذيتها واستثمارها.

كثير من يحاربون الغلو يرفضون تفكير معادلته إلى عواملها الأولية لأن ذلك سيلزمهم بإسقاط رموز ومدارس ومناهج صنمية طالما عنت الوجوه لها من دون هدي السلف، والكثير منها يتوجه لإبطال المخرجات والنتائج دون المساس بالمقدمات والقواعد، وينشغل بتحليل المفرزات دون توقيف آلة الإنتاج.

عندما تظهر المفاصلة العقدية بين الجماعات الإسلامية بعد الخلاف السياسي، فإنك تدرك أن الخلاف فيما بينها خلاف سياسي ليس لباس العقيدة أو أنه خلاف عقدي أخفى لمقاصد سياسية.

تنبه النخبة من الجماعات الإسلامية لخطورة الفكر الخارجي من بعد دخوله في حيز الإنحراف السلوكى يدل على أنهم يفكرون بطريقة مختلفة حتى عن العوام من أهل الفطرة السليمة الذين يدركون فساد المنهج ببساطة الفطرة فما يميز أهل العلم عن غيرهم إدراك الفتنة قبل وقوعها فإذا وقعت عرفها العالم والجاهل.

لا ننكر أن للغلو أدوات نفسية في صناعته فقد كان لسجون الطغاة وظلم العتاة وقهر الجبارية ومشايخ التمييع والانبطاح الكيل الأولي في ترويج بضاعة الغلو، فكثير من المظلومين قد يتحولون لظالمين عندما يعز الإنصاف.

الإرهاب الفكري الذي يمارسه عبيد الليبرالية وعبيد الجامية التي ينبع منها الطغاة سيقسم المجتمع إلى فئة مغرقة في الإلحاد والبغض للدين، وفئة مغرقة باللغو والتکفير كردة فعل على محاربة الدين الحق، وعلى من يريد أن يفرض لونا من التدين على الناس كافة، فالكتب الفكري والتربية القمعية تجعلنا نحمل عقد الغلو من طفولتنا فقد رأينا كثيرا من هواة الإجرام التحق بالمارقة لتنفيذه محبة رغبة مكبوتة في ممارسة الإجرام باسم الدين والجهاد. وبذلك يغيب تيار الاعتدال ويتجذر الصراع الذاتي في داخل المجتمع حتى في الأسرة الواحدة

بعاً لـتعدد أسباب نشوء الغلو تعددت وسائل العلاج الناجع القاطع، والاقتصر على وسيلة علاج واحدة سترزيد من استفحاله لذلك كان الجمع بين مناظرات ابن عباس -رضي الله عنهما- لدحض شبّهات من التّالث بفکرهم وهو يبتغي الحق، وبين سيف علي -رضي الله عنه- ليحصد رؤوس من لم تبرأ بالحجّة فكان السيف لهذه الرؤوس شافياً حيث لم تجدي معه الحجّة. كما أنّ لكل فعل ردة فعل مساوية له بالقوّة ومعاكسة له بالاتّجاه، فمن المعلوم أنّ أول الفرق المبتعدة التي ظهرت في صدر

الإسلام هم الخارج فكان الإرجاء من آثارها وعوارضها.

إننا علمنا أن الخارج والغلاة أصل الداء والإرجاء من عوارض العلة فإن الاتجاه لعلاج العرض دون المرض كمن يضع العربة أمام الحصان ويقلب المعادلة، لذلك تجد هؤلاء الغلاة يرفعون عقيرتهم دائماً بخطر الإرجاء وضرورة محاربة الإرجاء ولا ينسون ببنت شفة في محاربة الغلو إلا على استحياء.

فمثل الغلو والممارقة كشجرة خبيثة كلما زدت في تقليم أغصانها لتزين طلعها الشيطاني اشتدت جذورها فلا غنى عن اجتناث أصلها من الجذور حينذاك لن يكون لها قرار (قتل عاد وإرم) هو العلاج النبوي فلا نسرح بدعوى إصلاحهم والتحلي بالحكمة والروية.

يكاد يكون التلازم مطرد بين افتراق الأمة وتشذبها وظهور الممارقة واستفحالها وبين اجتماعها وانجذارها، فكما أخبر الصادق المصدوق أنهم يخرجون على حين فرقه من الناس لأن الميكروبات الطفifie لا تتكاثر إلا في الفراغات ولا تتغذى إلا على جسد ميت والمادة لا تقبل الفراغ بحال.

من الخطوات الضرورية لمحاربة التيار الخارجي المتنامي في الأمة أن يقوم مشروع الأمة الشعبي والرسمي بتبني قضايا الأمة بقوة فالشباب المراهق المتحمس أمام العجز الرسمي يرى في تيار الغلو البديل وبارقة الأمل نحو الحلم الإسلامي الذي يصبو إليه.

وهو يرى الأمة في مأزق الغياب الحضاري لمشروع جامع ومقنع للأمة فالمشروع الإسلامي الرشيد هو من يردم الهوة والشقق والافتراق بين مكوناتها التي تنمو بينها جراثيم الغلو والتکفیر يبني الفكر الغالي على منظومة فكرية تعامل ظاهرياً مع النصوص بإطلاقات وعموميات وهو عدمة ما يعتمدون عليه من الأدلة والنصوص العامة والمطلقة والمتباينة والمجملة وعالجهم القاتل لشبهاتهم بتخصيص العام، وتقيد المطلق، وإحکام المتشابه، وتفصيل المجمل.

في معسكرات الغلاة يغيب علم السيرة النبوية فيخرج أقوام جاهلون بالفقه الحركي، ويفغى علم أصول الفقه فيخرج من يتعامل مع النص بظاهرية، ويتغىّب السياسة الشرعية تكون النتيجة = غلو وتكفیر.

إن تحكم العقلية الحزبية بالنص يحرف الفهم عن مقصد الشارع إلى تبرير سياسة الحزب، فالغلاة يقطعنون أحداث المعارك والاغتيالات من السيرة، والمرجئة يقطعنون أحداث الرحمة والعفو، وكذلك التعامل مع النصوص فيبينما يقف الغلاة مع نصوص الوعيد وينسون نصوص الوعد يتوقف المرجئة مع نصوص الوعد. وينسون نصوص الوعيد.

لست مع الذين يشخصون ويفسرون علة الغلو بمؤامرة مخابراتية لأن الفكر الخارجي ذاتي التدمير يتشكل من تنازع الشهوات والشبهات وقصار ما يفعله الأعداء هو القدرة الفائقة في استخدام هذه التشوّهات الفكرية واستثمارها في ضرب مشروعنا الحضاري وإبقاء مسافة أمان بينها وبيننا من خلال إشغالنا بهذه الصراعات وجعلها تتحرك بتحكم عجيب من خلال إدخالها في مسارات حرب الموارد لتسمن ومن ثمة لتستعمل في حرب وكالة يحصد ثمارها الأعداء، فكان نصب الفخ على الموارد بما يشبه طعم الصياد ومن خلال الآلة الإعلامية الهائلة في استقطاب الجنود وترويج الفكر، وتأجيج عواطف الأغار وعند الحاجة لتشذيب المشهد تشن عليهم حروب استعراضية تزيد من التعاطف الشعبي معها بدلاً من إضعافها.

كما كان للمجاملة والمخادعات الإعلامية التي تصور هؤلاء المجرمين بما يشبه حال الصحابة الفاتحين أثراً مدمرًا على عقول الشباب بحيث صنعت منهم رموزاً يقتدي بها من شباب الأمة، فالإعلام الجهادي لم يكن يشكل أكثر من 20% من الحقيقة وكانت تسيره التنظيمات بما يخدم دعایتها، فتضخم من خسائر العدو وتقلل من خسائرها بل إنها تقلب كثيراً من الهزائم إلى فتح مبين.

فمن ظن أن المارقة كانت في التجربة العراقية قائمة بالقسط وطراً عليها الانحراف في التجربة الشامية فقد أبعد النجعة، فجرائمها في الشام لا تعدل عشر ما ارتكبته في العراق، ولكن كانت بعيداً عن الإعلام، وبنصيحة الخفاء والتكتم حتى لا تتهم أنك تعطن في المجاهدين، أسدل ستار سميك على جرائم مفجعة.

الخلاصة:

لا ينبعي لنا الاقتصار على علاج واحد في مواجهة الغلو وتبعاً لتنوع أسباب تشكيل الظاهرة وإنما الحرب خاسرة، فبتفكيرك المنظومة الفكرية بمحض شبهاهم وإدارة الحرب الإعلامية وكشف إجرامهم والقيام بمشروع حضاري يكون مقصداً لتفريغ طاقات شباب الأمة، وإعادة النظر في وسائلنا التربوية، ومقاومة الطغيان (المنتج الأكبر للغلو)، ومن خلال العمل الأمني الذي يحصد رؤوس أكابر مجرميها هنا يأتي العمل العسكري ناجعاً في اجتثاث شجرتها الملعونة الخبيثة.

والله أعلم،

مشاركات نور سورية

المصادر: